ترجمة معاني القرآن في ضوء نظرية سكوبوس
حركة النقل بين الهدم والبناء

Translatingthe Meaning of the Quran in light of Skopos Theory : Deconstruction VsConstruction Purposes

بوخلف فايزة*
جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف الجزائر
f.boukhelef@univ-chlef.dz

تاريخ الارسال2024/05/05 تاريخ القبول2024/06/01 تاريخ النشر2024/11/01

الملخص

ينفرد النص القرآني بخصائص لغوية تجعل من ترجمته الحرفية أمرا مستحيلا، غير أن الحاجة المتزايدة لفهم مقاصده من قبل المسلمين غير الناطقين بالعربية فهما صحيحا، أو إيصال الصورة الحقيقية للإسلام، و رد الهجمات الشرسة التي يشنها عليه بعض المغرضين و الإسهام في نشر الدعوة، يجعل من ترجمة القرآن إلى مختلف اللغات في الوقت الراهن ضرورة ملحة. و عليه فإن الهدف الأساسي من هذه الورقة البحثية هو كشف النقاب عن الخصائص الجوهرية التي تحول دون إمكانية الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، ثم استعراض أهم مبادئ النظرية الغائية Skopos Theory ذات التوجه الوظيفيللبحث في مدى إمكانية استثمارهالتقليص الهوة السحيقة بين استحالة ترجمة القرآن و ضرورتها المطلقة. حيث تثير ترجمة النص القرآني العديد من الإشكالات اللغوية (الصرفية والمعجمية والدلالية) التي اتخذها معارضو ترجمة القرآن حجة لدعم موقفهم، و التي يترتب عنها اختلاف ترجمات اللفظ الواحد من مترجم إلى آخر. و في ظل استحالة الترجمة الحرفية للقرآن الكريميصبح لزاما على مترجم هذا النص أن يعتمد الترجمةَ المعنوية التي تعد مرادفا للترجمة التفسيرية و التي بموجبها يبين المترجم معنى اللفظ القرآني في اللغة المنقول إليها اعتمادا على التفاسير المعتمدة لدى جمهور الأمة.

الكلمات المفتاحية:الترجمةالحرفية-القرآن الكريم- الترجمة التفسيرية-النظرية الغائية.

Abstract :

The Qur'anic text is characterized by unique linguistic features that make it impossible to translate it literally. However the increasing need to understand it by non Arabic-speakingMuslims, to transmit the true image of Islam, and contribute toits spread across the world make the translation

*المؤلف المرسل

of the Holy Quran into the various languages an inevitable process. Thus, the aim of the present paper is to reveal the substantial features that make the literal translation of the Holy Quran an impossible task and Furthermore, it intends to tackle to what extent the principles of the Skopos Theory (functional approach) can be invested to bridge the gap between the intranslatibility of the Holy Quran and its necessity. Actually, the translation of the Qur'anic text raises many linguistic problems (morphological, lexicon, and semantic) which result in different translations of one and the same Qur'anic word from one translator to another.A fact that was taken by opponents of the translation of the Qur'an as an argument to support their position. This paper shows that the language of the Qur'an poses considerable obstacles to the translators. Thus, the best mode of translation in relation to the Qur'an is the interpretive one.through which the translatorrenders the meaning of the Quranic wordinto the target language based on the tafassir adopted by the majority.

Key words : literal translation- Holy Quran- interpretive mehtod- Skopos Theory

مقدمة

تعد ترجمة النصوص الدينية بشكل عام وترجمة القرآن الكريم على وجه التحديد من أعسر أنواع الترجمة التي يمكن أن يقبل عليها المترجم مهما كانت كفاءته اللغوية، وذلك راجع لما ينفرد به هذا النص المقدس من خصائص لغوية وموضوعية معقدة تجعله معجزة بعينه. و بغض النظر عن الاختلاف القائم حول مدى مشروعية ترجمة هذا النص وضرورتها المطلقة، هناك جدل واسع حول المناهج والأساليب التي يمكن اعتمادها في نقل معاني القرآن من العربية إلى غيرها من اللغات الأخرى. وفي ظل مفارقة الاستحالة الضمنية لترجمة القرآن وضرورتها الملحة، تطفو على السطح بعض الإستراتيجيات التي قد تبدو مناسبة لتقليص الهوة السحيقة بين الاستحالة والضرورة. وعليه فإن الغرض الأساسي من هذه الورقة البحثية هو كشف النقاب عن السمات الأساسية التي تجعل من ترجمة القرآن أمرا مستحيلا، ومحاولة استثمار أهم مبادئ النظرية الغائية"SkoposTheory" في حقل الترجمة للوصول إلى تقنيات تفي بالغرض المنشود الذي يتيح التعامل مع هذا النص الديني.

1. ما مدى مشروعية ترجمة القرآن؟

كثيرا ما أثارت ترجمة القرآن الجدل بين الأئمة وعلماء الإسلام، وتباينت الآراء حول مشروعيتها؛فتراوحت بين الجواز و التحريم. و يتجدد الجدل بشأن هذا الموضوع بين الحين والآخر في أوساط الباحثين في الفلسفة والعلوم الإسلامية. و لعل السبب الرئيسي الذي يقف وراء موقف المعارضة هو الحرص على حفظ كتاب الله من التحريف والتزييف.إنهناك تسليما مسبقامن قبل كل من يؤمن بما جاء في القرآن باستحالة الترجمة الحرفية في معناها الدال على نقل ألفاظ من لغة إلى لغة أخرى، بحيث تقابل اللفظة بمثلها من غير إخلال بترتيب الكلام المترجم ونظمه. فاختلاف اللغة العربية عن باقي اللغات وخصوصية لغة القرآن الإعجازية تحول دون إمكانية اعتماد الترجمة الحرفية. فإن عجز أهل الصنعة من العرب وهم أهل الفصاحة وأهل البلاغة أن يحاكوا القرآن بسورة من مثله، فكيف يمكن الإتيان بمثله في غير

العربية؟يقول الله تعالى في محكم تنزيله:[**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللّه إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ 23 فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاس وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**24][1].

إن الحفاظ على القرآن باللغة التي نزل بها،من شأنه أن يوحد الأمة الإسلامية ويجمع شملها، بينما قد تؤدي الترجمات في ظل تعددها وتباينها إلى خلخلةالمجتمع الإسلامي، حيث يرى معارضو ترجمة القرآن حكمة إلهية في بقاء القرآن عربياً غير ذي عوج، وهو ما له أثر في سياسة الإسلام وحفظ مجتمعه، بتوحيد المسلمين توحيداً لغوياً و ثقافياً عن طريقه. فإعجاز نظم القرآن حسب هؤلاء –لا يعرف إلا بعد معرفة اللغة العربية، فمعرفتها وسيلة إلى الإيمان الصحيح بإعجازه، ووسيلة إلى استنباط الأحكام منه. وعملا بالمقولة المشهورة"ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، فإن معرفة اللغة العربية مطلوبة مادامت هي لغة القرآن.

ترتكز مواطن الخلاف حول مدى مشروعية ترجمة القرآن عموما على مسألتين أساسيتين، هما مناهج الترجمة التي يمكن اعتمادهافي نقل القرآن من لغة إلى أخرى ونوعية الترجمة الناتجة عن تلك المناهج، هذا من جهة ومن جهة أخرى الغرض من الترجمة أو بالأحرى مجال استعمال تلك الترجمة. وكما سبقت الإشارة إلى ذلكتبقى استحالة الترجمة الحرفية المطابقة للقرآن من المسلمات التي لا يمكن الاختلاف حولها. وأن كل ما يمكن القيام به هو مجرد تبسيط لمعاني القرآن بغير اللغة العربية. وهو ما يدفع إلى القول بترجمة معاني القرآن عوض ترجمة القرآن. واعتبارا لاستحالة الترجمة الحرفية المطابقة للأصل، فإن ما يترجم لا يمكن أن يعتبر قرآنا ولا يمكن أن تؤدى به الشعائر والعبادات.

1. الإعجاز القرآني واستحالة ترجمته:

ينطوي القرآن الكريم على العديد من الخصائص التي تجعل منه معجزة بعينها، منها الإعجاز اللغوي، البياني والعلمي. إذ إن النظم المعجز للقرآن هو جزء من ماهية القرآن، وهو مما ليس بالإمكان نقله من العربية إلى غيرها من اللغات، مما يذهب بروعة القرآن عند محاولة ترجمته ويضعف تأثيره في الصدور.فكيف يمكن مثلا نقل الخصائص الفنية لسورة مثل سورة الرحمن وهي عروس القرآن عند الترجمة. يقول تعالى [الرَّحْمَنُ (1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5)وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6)وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9).[2].

فعلى سبيل التوضيح ننظر إلى الترجمة التي أنجزها كل من هيلالي وخان لمعاني هاته الآيات الكريمات[3]:

1.The Most Beneficent (Allah)!

1.سورة البقرة: 23 / 24.

2. سورة الرحمن،الآيات: من 1 إلى 9 .

3. ترجمة هيلالي وخان.

2. Has taught (you mankind) the Qur'an (by His Mercy).

3. He created man.

4. He taught him eloquent speech.

5. The sun and the moon run on their fixed courses (exactly) calculated with measured out stages for each (for reckoning, etc.).

6. And the herbs (or stars) and the trees both prostrate.

7. And the heaven He has raised high, and He has set up the Balance.

8. In order that you may not transgress (due) balance.

9. And observe the weight with equity and do not make the balance deficient

فبالإضافة إلى كون هذه الترجمة لم تستوف كل المعاني التي انطوت عليها هذه الآيات الكريمة، فإنها تذهب بروعة القرآن وإيقاعه وجماليته الفنية التي تؤثر على السامع وتجذبه قبل التدبر في معانيه. فالإعجاز اللغوي للقرآن في نظر الدكتور زغلول النجار هو الإعجاز الرئيسي للقرآن[1].

اختار الله اللغة العربية لتكون لغة كتابه المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، فأعلى ذلك من شأن اللغة العربية وزادها سموا. يقول تعالى:[إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ][2]،ولقد كان لذلك الاختيار مبرراته بحيث لم يبرز العرب ولم يشتهروا في أي مجال من المجالات بقدر ما أبدعوا في فنون اللغة شعرا ونثرا. فكانت المعجزة أن يتحداهم الله فيما هم فيه حاذقون. فقد أوتي كل رسول من المعجزات ما يشهد له بالرسالة، وكانت تلك المعجزات مما برع فيه أهل عصره.فسيدنا موسى عليه السلام جاء في زمن ذاع فيه السحر وبلغ شأنا عظيما، فأعطاه الله تعالى من العلم ما أبطل به سحر السحرة. و أعطى سيدنا عيسى عليه السلام من العلم ما تفوق به على أطباء عصره، لأنه أرسل في زمن كان الطب قد بلغ فيه مبلغا عظيما، و كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء في زمن اشتهر فيه أهل الجزيرة العربية بالفصاحة والبلاغة. فجاء القرآن أبلغ من بلاغتهم . المفارقة أن لغة القرآن لم تشذ عن القواعد اللغوية التي عرفها العرب قديما ولم تخرج عنها، إلا أنه نزل معجزا، فهو نص تحدى به الخالق الجن والإنس.وحتى أقدر الناس في اللغة وأبرعهم عجز عن محاكاته أو مضاهاته. قال تعالى: [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً][3].

1.من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: 33.

2.سورة يوسف، الآية: 2.

3.سورة الإسراء، الآية: 88 .

2. بواعث ترجمة القرآن:

يمكن إسقاط القاعدة التي يؤسس عليها المعارضون لترجمة القرآن الكريم موقفهم، وهي القاعدة التي تنص على أن معرفة اللغة العربية مطلوبة مادامت هي وسيلة الوصول إلى الإيمان الصحيح لدى المسلمين غير العرب،و الذين يتعين عليهم بعد اعتناق الإسلام أن يتعلموا العربية ليدركوا خفايا هذا الكتاب الإلهي وأسراره.لكن استقطاب غير المسلمين والدعوة إلى الإسلام وصد الهجمات الشرسة التي تستهدف الإسلام في زمن لم تعد فيه اللغة العربيةهي المسيطرة،يستدعي بالضرورة مخاطبة الآخر غير المسلم أو المشكك في الإسلام بلغة– غير العربية– وإقناعه باعتناق الإسلام أو تغيير نظرته السلبية العدائية للإسلام من خلال تبليغه رسالة الإسلام دون زيف أو تحريف، ولن يتأتى ذلك إلا بترجمة دقيقة وأمينة لمعاني النص القرآني الذي هو دستور المسلمين. حيث يقول الزرقاني في هذا الباب:"وما من أحد يخاطب قوما بغير ما تسعه عقولهم إلا كان فتنة عليهم"[1].فمخاطبة الأقوام بلغتهم تفتح القلوب والبصائر أمام دعوة الله تعالى. لذلكيرسل اللهُ الرسلَ بلغاتأقوامهم حيث يقول عز وجل:[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ][2].

بخلاف كل الكتب السماوية التي سبقته، فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الجامع، الخالد الذي أنزله على البشرية جمعاء، ولم يختص به قوما دون غيرهم. قال تعالى: [الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِإِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] [3]. فتتولد الحاجة إلى ترجمة القرآن من كون الدين الإسلامي ليس قصرا على العرب فقط. ومادام القرآن الذي هو دستور المسلمين قد نزل بلسان عربي، فإنه من الضروري ترجمة معانيه إلى غير العربية. فمنه تستنبط أحكام شريعتهم ولا تستقيم حياة المسلم والأمة المسلمة جمعاء إلا على هديه. وحتى لا يعيق الحاجز اللغوي فهم الرسالة المحمدية لا بد من الترجمة، بل إنه لا يقتصر على البشر فقط، بل حتى الجن أيضا لقوله تعالى:[ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ][4].

3. حركة ترجمة معاني القرآن بين الهدم و البناء:

لا نعتزم في هذا المقام التأريخ لحركة ترجمة معاني القرآن الكريم، ولكن الغرض من هذا العنوان هو التنبيه إلى أننوعية الترجمة المنجزة لمعاني القرآن تؤثر مباشرة في طبيعة استجابة المتلقي بالسلب

1 .مناهل العرفان في علوم القرآن: 102.

2 . سورة ابراهيم، الآية: 5.

3.سورة إبراهيم، الآية: 1.

4.سورة الأنبياء، الآية: 107.

أو بالإيجاب، فيصبح دور المترجم استراتيجيا، ولذلك فإن الترجمة الدينية وخاصة ترجمة القرآن الكريم هي من أعسر أنواع الترجمة التي قد يخوضها المترجم على الإطلاق، لأن الخطأ في ترجمة الدين أضر من أي مجال آخر، يقول الجاحظ ..." والخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة و الصناعة والفلسفة والكيمياء وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم.[1].

إذا عدنا إلى المحاولات الأولى لترجمة معاني القرآن، سنجدأن اللغة اللاتينية لغة العلم في أوروبا هي اللغة الأولى التي ترجم إليها القرآن الكريم، ويعد المستشرقونأول من حاول ترجمة معاني القرآن الكريم، حيث أنجزت أول ترجمة استشراقية مطلع القرن الثاني عشر 1143م بأمر وتوجيه من قبلبطرس فنرابيليس(Petrus Venerabilis)،رئيس رهبان دير كلونيCluny آنذاك.كلونيهي مدينة فرنسية اشتهرت بديرها، الذيأطلق حركة إصلاحية هدفت إلى دعوة أوروبا إلى المسيحية، وشكل في نهاية القرن العاشر وفي القرن الحادي عشر مع الاديرة الأخرى أقوى مؤسسة دينية وأوسعها نفوذا في أوروبا. ولم تكن تلك الترجمات في واقع الأمر إلا بمثابة الخطوة الأولى التي كان الغرب النصراني يرمي من خلالها إلى محاربة الإسلام. فبعد حوالي خمسة قرون من ظهور الإسلام، خشي الغرب النصراني طيلتها من تأثير الإسلام، وعارض نقل القرآن إلى لغاته، ظهر هناك اتجاه قوي في الغرب لا يمانع من ترجمة القرآن إلى اللغات الأوربية، ولكنه يسعى إلى توظيف الترجمة في توجيه المزيد من الطعنات إلى الإسلام[2]. إذ إندوافع الترجمة تعود إلى تصحيح نصرانية المستعربين بالأندلس وتهذيبها من الفساد الذي اكتسبته بعد التقائها بالإسلام حسب زعمهم. وكذا معرفة الدين الإسلامي لتيسير إمكان مواجهته ونفيه وإقامة سد منيع بينه و بين إفساد النصرانية من جديد[3].

توالت الترجمات بعد ذلك إلى مختلف اللغات الحية، وجاءت الترجمة إلى الإنجليزية متأخرة نوعا ما مقارنة باللغات الأخرى حيث تعود أول ترجمه إنجليزية إلى أواخر القرن السابع عشر 1688 (م) ترجمها "الكسندر روس" "**Alexander Ross**" عن النسخة الفرنسية التي أنجزها المستشرق الفرنسي "أندريدي راير"**AndréDu Ryer**.[4]وفي القرن الثامن عشر1734م، ترجم المستشرق "جورج سيل"**George Sale** معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وهو شيخ المترجمين الإنجليز في تلك الفترة، وتعد ترجمته أشهر الترجمات باللغة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم.

1. الحيوان، الجزء الأول: 78
2. ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين و جهود المسلمين:21.
3. تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها:14
4. نفسه: 14/ 15.

ولعل تلك الترجمات الاستشراقية التي ميزها التحريف والتشويه عن قصد أو بدونه تعد أحد البواعث الرئيسية التي حفزت المسلمين من عرب وغير عرب في العقود الأخيرة على ترجمة معاني القرآن لتصحيح بعض المفاهيم الإسلامية الخاطئة التي روجتها الترجمات المغرضة. فمثلما كانت الترجمة وسيلة للتشكيك في سماحة الإسلام والطعن في مبادئه، استخدمت من قبل المسلمين لحماية هذا الدين وصد الهجمات التي تستهدفه باستمرار، وبالتالي استقطاب الناس إليه ودعوتهم لاعتناق الإسلام.

ما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب هو التباين الشديد لترجمات معاني القرآن من مترجم إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى. ومن بين العوامل التي أدت إلى ذلك الاختلافما يتعلق بمستوى الكفاءة اللغوية التي يتمتع بها المترجم في اللغة المصدر–اللغة العربية – واللغة الهدف، مدى اضطلاع المترجم بأمور الدين والإسلام تحديدا.باعتبار أن القرآن قد ترجم من قبل عرب وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين، وأكثر ما يصنع الفارق بين تلك الترجمات هو اختلاف الغرض الذي أنجزت من أجله. فاختلاف الهدف من الترجمة يجعل المترجمين يتبعون أساليب مختلفة وينتهجون مناهج متضاربة إن لزم الأمر.

ما من شك في أنهذا الوضع ينطبق على ما جاء في الآية الكريمة:[هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ][1].فمثلما يحدث التأويل داخل اللغة نفسها يمكن أن يتم أيضا من خلال الانتقال من لغة إلى أخرى.وفي كنف هذا الارتباط الوثيق بين الغرض من ترجمة معاني القرآن واستراتيجية نقلها من العربية إلى لغات أخرى، تبرز أهمية استثمار النظرية الغائية في ترجمة معاني القرآن.

4. مبادئ النظرية الغائية:

لقد أحدثت النظريةالغائية والتي تعرف أيضا باسم نظرية الهدف أو "سكوبوس"Skopos Theory تغييرا عميقا في دراسات الترجمة حينما غيرت النظرة إلى الترجمة من مجرد نقل للرموز إلى فعل.تمثل هذه النظريةالمدرسة الوظيفية الألمانية بزعامة"كاترينا رايس" **Katharina Reiss** و "هانس فيرمير"**HansVermer**.وتنظر النظرية الغائية إلى الترجمة على أنها نوع خاص من نظرية الفعل، غير أنه باعتبار النص المصدر فعلا، فإنه يمكن في حالة الترجمة الحديث عما يسمى بردة الفعل[2].

1.سورة أل عمران، الآية: 7.

2. General Foundations of Translation Theory: 95.

تتأسس النظرية الغائية على جملة من القواعد الأساسية المتكاملة فيما بينها، ويأتي في مقدمة تلك القواعد الهدف من الترجمة Skopos ، حيث تنطلق من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة[1]. وترى هذه النظرية أن هدف الترجمة النهائي هو الذي يحدد للمترجم سلفًا الإستراتيجية التي ينبغي عليه أن يتبعها في ترجمته، وليس غير ذلك من العوامل. ليس النص الأصل كما تعودنا على ذلك في النظريات اللسانية للترجمة ما يحدد عملية الترجمة، بل هو الوظيفة المرتقبة للنص الهدف أو هدف النص المترجم. فهذا هو المعيار الأساسي لاختيار الترجمة الجيدة وقد يكون لترجمة ما عدة أهداف تؤخذ كلها بعين الاعتبار وقت تحقيق الترجمة.إن اختيار الهدف من وجهة نظر "رايس" و "فيرمير" ليس عشوائيا، وإنما يخضع لقيود حيث يجب أن يكون الهدف المختار مبررا وذا معنى قوي. ومن ثميكون ملائما من حيث وضعيته ومكانته داخل ثقافة ما. بالنسبة إلى تحديد الهدف، يجب أن يكون المتلقي معروفا لأن الهدف من الترجمة مرتبط ارتباطا وثيقا بالمتلقي. و ليس هدف النص المترجم هو بالضرورة هدف النص المصدر.

من بين قواعد نظرية الهدف أيضا الاتساق coherence، لكن"رايس" و "فيرمير" يميزان بين نوعين أو بالأحرى مستويين له، يتحقق النوع الأول على مستوى النص الهدف، وهو أن يكون النص المترجم مقبولا في اللغةوالثقافة المترجم إليها. فيكون النص المترجم متسقا في فقراته أي الاتساق الداخل النصيcoherenceIntratextual الذي يقتضي النقل بانتظام فينتج عنه نص مفهوم ومنظومرتب داخل حدود الغموض المسموح به في اللغة والثقافة الهدف. وعليه يشترط في الترجمة فهم النص وبالتالي تأويل موضوع النص في وضعية ما، فلن ترتبط الترجمة بالمعنى فقط، ولكن بالمعنى المقصود أي بمعنى النص في وضعية معينة.[2]

تشترط "رايس"**Reiss** و "فيرمير" **Vermer**في عملية الترجمة أيضا تحقيق الاتساق بين النص الهدف والنص المصدر وهو ما يعني الأمانةfaithfulness التي تعتبر قاعدة أخرى من قواعد نظريتهما، إذ لابد أن يكون النص المترجم متسقا مع النص المصدر coherenceIntertextual حيث يجب أن تكون هناك علاقة وطيدة بين النص المصدر والنص الهدف ما دام هذا الأخير يقدم النص المصدر ويمثله على الأقل على مستوى الشكل أو المضمون أو الأثر، وتقتضي القاعدة الأخيرة للنظرية الغائية احترام ترتيب وتدرج القواعد المذكورة سالفا.

5. النظرية الغائية وترجمة معاني القرآن:

1. General Foundations of Translation Theory: 101.

2.General Foundations of Translation Theory : 113.

تثير ترجمة القرآن العديد من الإشكالات الصرفية والمعجمية والدلالية، ومن بين أهم ما يعترض سبيل المترجم من صعوبات أثناء محاولة ترجمته على سبيل المثال لا الحصر، ترجمة لفظ الجلالة، أسماء الله الحسنى، الحروف المقطعة في أوائل السور، الآيات المحكمات و المتشابهات، الكلمات المعربة، تعدد معاني اللفظ الواحد، الاختلاف في التأنيث والتثنية وغيرها من المشاكل العويصة التي يقف المترجم عاجزا عن تجاوزها، والتي تحول دون تحقيق الترجمة الحرفية. فالترجمة الحرفية للقرآن إضافة إلى كونها ممنوعة شرعا فهي مستحيلة من الناحية التقنية. وكل ما يمكن إنجازه هو ما يعرف بالترجمة المعنوية.

إن الغاية الأساسية من نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه و سلم،هي هداية الخلق. يقول جل وعلا في الآية التاسعة من سورة الإسراء:[إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ][1] . فهو دستور المسلمين الأول، ومنه تستنبط أحكام شريعتهم، لكن في المقابل نجد أنه لا يجوز أن تؤدى العبادات كالصلاة مثلا بغير اللغة العربية، اللغة الأصلية التي نزل بها القرآن. لتقتصر بذلك وظيفة ترجمة معاني القرآن أو الهدف المرجو منها هو توضيح معاني القرآن لفهمه فهما صحيحا والعمل به من قبل المسلمين غير الناطقين بالعربية، أو لإيصال الصورة الحقيقية للإسلام لرد الهجمات الشرسة التي يشنها بعض المغرضين والإسهام في نشر الدعوة. و مع أن النظرية الغائية ترى إمكانية اختلاف الهدف من وضع النص في اللغة المصدر والغرض من ترجمته، بحيث لا يكون الغرض من ترجمة نص ما بالضرورة هو الهدف نفسه الذي كتب من أجله في اللغة المصدر. إلا أنه في حالة ترجمة معاني القرآن، لا ينبغي أن يخرج الهدف من الترجمة عما أنزل القرآن لأجله و لو أن الترجمة لا تحقق لنا كل الأهداف الأصلية من إعجاز وتلاوة ولكنها كفيلة بتبليغ معانيه بشكل عام.

يتضح في إطار ما تقدم من تحديد لهدف ترجمة معاني القرآن، أن مترجم معاني القرآنملزم بالاعتماد على الترجمة المعنوية التي تعد مرادفا للترجمة التفسيرية التي بموجبها يبينمعنى اللفظ القرآني اعتمادا على التفاسير المعتمدة لدى جمهور الأمة. ولايكتفي بنقله حرفيا لأن نقل المبنى لا يعني بالضرورة نقل المعنى نفسه، خاصة إذا احتمل اللفظ التأويل واختلف فهمه من قارئ إلى آخر. ولعل أفضل مترجمي معاني القرآن هم المفسرون أنفسهم. فإذا كان مترجم النصوص الوضعية، غير المنزّلة مطالببامتلاك ناصية اللغة المنقول منها والمنقول إليها والإلمام بثقافة اللغتين وكذا الإلمام بموضوع الترجمة. فلا يمكن لمترجم معاني القرآن إلا أن يكون فقيها عالما بأسرار اللغة العربية واللغة المنقول إليهافضلا عن تمرّسه بأمور الدين،وإدراكه أسباب النزول. يقول الجاحظ (868م): "وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان

1 . سورة الإسراء: 09.

أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه، ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء. هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب واللحون، فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله بما يجوز عليه مما لا يجوز"[1].

المقصود بالترجمة المعنوية أو التفسيرية استخراج المترجم المعنى الذي يمثله لفظ ما ويتم ذلك من خلال اعتماد المترجم على التفاسير لتحديد المعنى المراد من لفظ معين من أجل تحديد مقابله الأنسبفي اللغة المترجم إليها.فتكون التفاسير المعمول بها مرجعاللمترجمين. وقد تكون التفاسير المترجمة بلغات غير العربية مرافقة لترجمة معاني القرآن كأن توضع بين قوسين مثلا أو في الحواشيلتستجلي ما غمض منها وصعب فهمه. لكن لا تحل محلها لأن الغرض في الحالة الأولى هو فهم المعاني أما بالنسبة للحالة الثانية فهو استنباط الأحكام.فحتى الناطقين بالعربية يحتاجون إلى التفاسير لإدراك كنه القرآن.

وقد أوضح الزرقاني أربعة فروق بين الترجمة التفسيرية وترجمة التفسيرأهمها أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يراعى فيها الاستغناء عن أصلها وحلولها محله. فهي تحتل محل الأصل، أما التفسير فهو متصل بالأصل شبه اتصال المبتدأ بخبره، كما لا يجوز الاستطراد في الترجمة بينما يعد ذلك أمرا مطلوبا في التفسير[2]. ومن أجل أن يتضح ما نحن بصدد الحديث عنه،سنورد فيما يلي بعض الترجمات المختلفةللآية5 من سورة التوبة إلى اللغة الإنجليزية، ونبين كيف اختلفت ترجمة اللفظ الواحد من مترجم إلى آخر:

يقول تعالى: [فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ][3].

1. ترجمة عبد الله يوسف علي[4]:

But when the forbidden months are past, then fight and slay the Paganswherever ye find them, and ; seize them, beleaguer them, and lie in wait for them in every stratagem(of war) but if they repent, and establish regular prayers and practise regular charity, then open the way for them : for Allah is Oft-forgiving. Most Merciful.

1. الحيوان: 77.
2. مناهل العرفان في علوم القرآن: 114 . 115.
3. سورة التوبة، الآية: 5.
4. The Meanings of The Holy Quran.

2. ترجمة محمد مارمادوك بيكتال[1]:

Then, when the sacred months have passed, slay the idolaters wherever ye find them, and take them (captive), and besiege them, and prepare for them each ambush. But if they repent and establish worship and pay the poor-due, then leave their way free. Lo! Allah is Forgiving, Merciful.

3. ترجمة تقي الدين الهيلالي و محمد محسن خان[2]:

Then when the Sacred Months (the 1st, 7th, 11th, and 12th months of the Islâmic calendar) have passed, then kill the Mushrikûn (See V.2:105) wherever you find them, and capture them and besiege them, and lie in wait for them in each and every ambush. But if they repent and perform As-Salât (Iqâmat-as-Salât), and give Zakât, then leave their way free. Verily, Allâh is Oft-Forgiving, Most Merciful.

نلاحظ أن ترجمة عبارة **الأشهر الحرم** قد اختلفت من نسخة إلى أخرى، حيث ترجمها عبد الله علي يوسف بـ forbidden months وهي تأخذ بظاهر اللفظ على منوال ترجمة المسجد الحرام بـ the forbidden mosque، حيث يبدو أن المترجم قد ترجمها على أساس الأشهر المحرمة، بينماأخذ "بيكتال" بالمعنى المقصود من الأشهر الحرم والتي تعني أشهر مقدسة يحرم فيها القتال فترجمها بـ Sacred Months، وهو المقابل نفسه الذي فضل كل من الهيلالي و"خان" استخدامهلكنهما أضافا بين قوسين شرحا لما يقابل تلك الأشهر الحرم وتبدو هذه الأخيرة تفسيرا أكثر منها ترجمة.

- بالنسبة للفعل انسلخ في الآية 5 من سورة التوبة، نجد كل الترجمات قد أخذته بمعناه السياقي وهو (to pass) مع اختلاف بسيط في التركيب (to be +past أو to have +passed)لأنه الأنسب في اللغة الإنجليزية للتعبير عن مضي الوقت، و تجنبت استخدام المعنى الثابت أو اللفظي (to be removed) الذي يرتبط في العادة بسلخ الجلد عن اللحم وهو وجه من أوجه البيان في القرآن الكريم ودقة تصويره و بلاغته.

1.The Meanings of The Holy Quran.

2.The Meanings of The Holy Quran.

ـجاءتفي الآية 5 من سورة التوبةعبارة "فاقتلوا المشركين" والتي صعب تحديد القصد منها حتى بالعربية لاختلاف التفاسير بين التعميم و التخصيص، نجد أن ترجمة عبد الله يوسف علي قد ترجمت كلمة "اقتلوا" بكلمتين fight and slayحيث لم يكتف بلفظ القتل، بل سبقته كلمة fight بمعنى قاتلوا واقتلوا وخصص نوع القتل ذبحاslayربما لأن المترجم أخذ بالحسبان نوعالأسلحة المستخدمة وقت نزول الآية وهي السيوف والخناجر. واكتفى "بيكتال" بكلمة slay كمقابل لفعل الأمر اقتلوا،أما الهيلالي و"خان" فلم يؤولا ولم يضيفا على معنى القتل أي شيء و اكتفيا بمعناها العام كما جاء في النص القرآني الأصلي فترجمت الكلمة بـ Kill.

إن معاني القرآن نوعان أولية أصلية ثابتة، وثانوية تابعة وهي ما يستفاد من الكلام على حد تعبير الزرقاني[1]، فمتى ينقل المترجم المعنى الأولي ومتى يتجاوزه ليسعى وراء المعنى السياقي؟في الواقع لا يمكن أن يلجأ المترجم إلى المعنى الثانوي قبل اختبار المعنى الأولي و مدى دلالته على المعنى المناسب في النص المترجم، فهو أسبق وأجدر بأن يؤخذ به. فإذا كان المعنى الأولي لا يتسق مع الأحوال اللغوية والثقافية للغة الهدف يجب السعي وراء المعنى الثانوي أو ما يعرف بالمعنى السياقي للفظ.

غير أن هذا النوع من المعاني يطرح صعوبة حقيقية في الترجمة بسبب انفتاحه على التأويلات المختلفة. يقول البنيان "أما المعاني الثانوية فتصعب – إن لميكنمن المستحيل ترجمتها إلى لغة أخرى لأن النظم القرآني بديع الأسلوب فهو يفيد بالإشارة ما تعجز عنه العبارة... [2].

في الآية 5 من سورة التوبة، نجد أيضا اختلافا في ترجمة كلمة المشركين،فقد ترجمها علي يوسف بـ Pagans وهي كلمة استخدمت من قبل المسيحيين في القرن السادس الميلادي، فكانت تطلق على من لم يكن لا على دين اليهود ولا المسيحية، وهيلا تستوفي معنى الشرك، أما"بيكتال"فقدوضع كمقابل لها كلمة idolatersالتي تعني الوثنيين والتي لا تعبر هي الأخرى إلا جزئيا عن معنى الشرك بالله، إذ هناك أشكال أخرى للشرك، أما الهيلالي و"خان" فقد فضلا استخدام ما يعرف بأسلوب الاقتراض في دراسات الترجمة وأبقيا على لفظ المشركين كما هو في النص الإنجليزي.

إن مخاطبة الآخر بما يفهمه ويفقهه لأمر جيد ومطلوب في الترجمة مراعاة للمتلقي الهدف، وهو ما يدعى بالاتساق الداخل نصي وفق النظرية الغائية، وذلك ما يجعل النص المترجم مقبولا في اللغة الهدف.لكن لا ينبغي أن يكون ذلك على حساب الرسالة التي تضمنها النص المصدر، فالاتساق داخل النص ينبغي أن يعززه اتساق من نوع آخر يتم على مستوى النص المصدر والنص الهدف كما سلفت الإشارة إلى ذلك من قبل.

1. مناهل العرفان: 115/114.

2.ترجمة الألفاظ القرآنية بين التغريب والتوطين: 65.

لهذا السبب، ومن أجل تحقيق المعنى المراد في جزء معين في النص المصدر(هدف جزئي) بغرض تبليغ المعنى العام للقرآن(الهدف العام) قد يلجأ المترجم إلى استخدام ما يراه مناسبا من استراتيجيات، فهو وحده صاحب القرار. الملاحظ أنالهيلالي وخان قد اعتمدا أسلوبالاقتراض الذي سلفت الإشارة إليه في نقل الكثير من المفاهيم والمصطلحات الشرعية مثل الصلاة والزكاة وغيرهما حفاظا على المعنى كما جاء في القرآن دون أن ينقص من مدلوله الشرعي شيء. وأما "بيكتال"فقد اختار كلمة عامة كمقابل للصلاة وهي worship أما الزكاة، فقد ترجمها بـ the poor-due بما معناه حق الفقراء.

ومن أجل توحيد المفاهيم الدينية لدى المسلمين عربا كانوا أو غير عرب، يقترح بعض الباحثين[1] استخدام أسلوب الاقتراض أو ما يسمى بالتغريبفي ترجمة الألفاظ القرآنية ذات المدلول الثقافي والدينيالتي لا توجد لها معادلات في اللغة الهدف حيث سيؤدي نقلها الحرفي إلى تجريدها من قيمتها،إذسينتقل المعنى اللغوي ويضيع المعنى الشرعي ومنها، الصلاة، والزكاة والصوم والحج وغيرها حيث يقول أحمد البنيان و إبراهيم البلوي:"إن تغريب هذه المصطلحات في اللغات الأجنبية من شأنه أن يؤدي دورا مهما في توحيد المفهوم اللغوي والشرعي للمصطلح وفهمه فهما صحيحا"[2].وتحدثت في هذا الشأن الباحثة ليلى عبد الرزاق عثمان رئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الأزهرعن ابتكار ما أسمته بلغة إنجليزية إسلامية. وهي الإنجليزية التي حافظت على تلك الألفاظ بلغتها العربية. وهو ما من شأنه أن يوحد المسلمين لغويا و ثقافيا.

إن من بين خصائص النظرية الغائية أنها تأسست على المقاربة الوظيفية التي ترى في النص وحدة للترجمة، وعدم الوقوف عند الكلمة أو الجملة الواحدة بمعزل عن باقي النص، وهي النظرة التي يجب أن ننظر بها إلى القرآن عند محاولة فهم معانيه وترجمتها، لأن النص القرآني كل متكامل، يمثل وحدة متماسكة، بل إن بعض الآيات لا يتضح معناها إلا في ضوء المعنى الذي تقدمه آيات أخرى.فلا ينبغي أن ينتج عن اختلاف بين المعاني الواردة في اللغة المترجم إليها أو الأحكام الناتجة عنها.ما يعني ضرورة تحقيق الاتساق داخل النص الذي يعد شرطا أساسيا من الشروط التي تقوم عليها النظرية الغائية. فإذا عدنا إلى الآية الخامسة من سورة التوبة: نجدها تنص على قتل المشركين في أي مكان(حيث وجدتموهم) أما في سورة البقرة مثلا نجد هناك استثناء.يقول تعالى:[وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ][3].يفهم من الآية الأولى التعميم، بمعنى أي مكان من الأرض وجدتموهم عليه(مع اختلاف التفاسير أرض مكة أو الكرة الأرضية بشكل عام). بينما هناك تخصيص في الآية الثانية من خلال تحريم القتال في الحرم.

1. ا الخطيب: 37.
2. ترجمة الألفاظ القرآنية بين التغريب و التوطين: 93.
3. سورة البقرة، الآية: 191.

خاتمة:

جملة القول أن ما يقتضيه واجب التبليغ والدعوة اليوم هو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية الواسعة الانتشارحتى يتسنى لغير العرب من مسلمين وغير مسلمين أن يطلعوا على حقيقة ما يتضمنه القرآن. وهو ما لايمكن إدراكه إلا من خلال ترجمة صحيحة ودقيقة.لكن المشكل أن دقة الترجمة هي أمر نسبي، إذ يعتبر فهم النص المصدر واستراتيجية الترجمة المتبعة وتصورات الجودة وغير ذلك من مهارات المترجم، لكنها في الوقت نفسه تعد أكبر متغير في كل ترجمة لأنها تتأثر بالصفات الشخصية للمترجم ومهاراته، فقبل أن يكون المترجم مترجما هو متلق للنص المصدر أيضا. وقد رأينا كيف اختلفت أساليب ترجمة المسلمين عن غير المسلمين والعرب عن غير العرب، والمتفقهين في الدين عن غير المتفقهين فيه. لكن درجات الدقة تختلف من ترجمة إلى أخرى. ومنه يتأكد لنا أن ترجمة القرآن لا ينبغي أن يتولاها شخص واحد. و كلما تضافرت الجهود كلما كانت الترجمة أدق وأقرب إلى تحقيق الهدف. لأن ما يرَاهَن عليه اليوم هو مدى الاقتراب من معاني القرآن في ظل استحالة الترجمة الحرفية بسبب الخصائص البلاغية والبيانية للقرآن.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم. المصحف الشريف.

-الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون،مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط2، 1965.

-تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها، محمد حمادي الفقير التمسماتي، المكتبة الإسلامية الإلكترونية الشاملة. الموقع https://www.muslim-library.com.

- ترجمة الألفاظ القرآنية بين التغريب و التوطين، البنيان أحمد و البلوي ابراهيم، مجلة أفشوت مجلد 7 عدد1، 61-95 ، المغرب، 2003.

- ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين، ثابت عيد، بحث نشر في جريدة الحياة في حلقات، الحلقة الثانية، ع1، 1990.

- مناهج ترجمة المصطلحات الدينية والشرعية في القرآن الكريم. الخطيب عبد الله عبد الرحمن، ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

-مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1943.

- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.

- General Foundations of Translation Theory .Reiss, K. and Vermeer H. J. [M]. Tubingen: Niemeyer, 1984.

- The Meanings of The Holy Quran. www.e-quran.com/language/english/.